

(٢٤)

الإنسان

بين كثيفه ولطيفه لظلامه وناره ونوره

عبد ورب وإله
في الله بالله

حديث الجمعة

١ محرم ١٣٨٣ هـ - ٢٤ مايو ١٩٦٣ م

باسم الرحيم الرحمن من الله، باسم القيوم الحي من الحياة، باسم الله أشهده في وجوده الله وأنه لا إله إلا الله، وأشهده به محمدا رسول الله. أشهده عبد الله وأشهد أن إنسان الله هو اسم الله وذكر الله، وهو الرحمن الرحيم من الله، وأنه خليل طلغته، وحييب رحمته، وعبد عظمته، ووجه جلاله، ويد قدرته، وساحة إحسانه، وسفين الخلاص والغفران بعنوانه.

فما يكون الإنسان. وما أدرانا ما الإنسان. ومتى الإنسان. وأين الإنسان. وما يعنون الإنسان، وما وراء الإنسان وما بعد الإنسان. ومن يهدنا إلى الإنسان؟ أغير الإنسان! ومن يجمعنا على الإنسان؟ أغير الإنسان! ومن يكوننا الإنسان؟ أغير الإنسان! هل آمنا بالإنسان؟ هل عرفنا الإنسان؟ هل طلبنا الإنسان! هل تواجدنا الإنسان! هل أحيينا الإنسان! وهل جلباب الإنسان هو الإنسان!

فكيف يتكلم الإنسان عن الرحمن ورب الرحمن، وعن الخالق والخلق ورب الخلق ورب الخالق، وعن العبد وعن المعبود، وهو لا يعرف شيئا عن نفسه، ولا عن معنى ظاهره وغيبه، ولا عن إنسانه نباتا، أو إنسانه حيوانا، أو إنسانه حيا وإنسانا لا يعرف شيئا عنه بين سافلين وتحت سافلين وعين سافلين، ولا رجاء له إلى عليين، ولا محاولة له للتخلص من وصف السافلين، أو بيئة السافلين.

يتحدث الإنسان في مختلف مستوياته من الانحطاط والرقى، وبمختلف مستوياته من الوعي والجهل، وفي مختلف ألوانه بأثوابه من التكوين والانعدام، عما يسميه لنفسه لفظا الله، بحثا عما يتخيله من أمر

عن حقيقة الوجود من حوله وله، والذي لا يخفى عليه أمر جلبابه منه بوهم معناه أنه على ما يشبه عدم بالنسبة لأرض نشأته، والتي هي بدورها ذرة في صحراء مع الوجود المطلق الذي يرى عجزه عن إدراك سعته بكمه، وعجزه عن إدراك زمنه ببده، وعجزه عن إدراك عمره بانتهاه ناسبا له معاني البدء والانتهاه بقاصر فلسفته وتحريفها لما بين يديه من تبليغ السماء تشبيها له بما تتصف له به عنده نفسه بجلبابه من أمر بدء وانتهاء، دون نظر لأمر جنسه الذي يجهل عنه أمر البدء والانتهاه أيضا. وقد يكون هناك تقابل بينهما من حيث الفرد والجنس للعالم الواحد والوجود المجهول وفي الكشف عن أحدهما كشف عن الآخر. والإنسان في جهل بهما يطرق الطريق للوعي عنهما ولكنه وهو يطلب وعي القيام الأكبر بالقيام الأصغر، إنما يبدأ إلى المعرفة طريقا خاطئا ويطرق بابا مغلقا، وكل بدء خاطئ لا ينتهي إلا إلى نتيجة خاطئة.

الإنسان بهذا التفكير عن الموجد له بعيدا عن قائم معناه والموجد للكون بعيدا عن قائم معناه كذلك، يتجاوز قدرته، ويحمل نفسه ما لا تطيق. ويخطئ السبيل إلى ما يرغب معرفته والإحاطة به. وينحرف عن الحق والجادة وسواء السبيل فيبتعد رويدا رويدا عن نفسه وعن الكون والكينونة إلى خيالات وأوهام باسم المعرفة، يتوажدها أوهاما لمعناه باسم الحق عنده له جاهلا بما فيه من الحق القادر الخالق للمعاني والصور الذي يجهله بجهله عن حقي قيامه ومعناه، ظاهره بفعله وجفاه بعاطفته وأنكر عليه معنى الحق له ومعنى مطلوبه للمعرفة منه نخدعته نفسه بظلامها وتخدع الحق بها لها اختبارا واصطبارا. ولو أن الإنسان بدأ بالتفكير في أمر نفسه وقيامه وما فيه من الحياة والحركة وقدرته وعجزه، وبدئه وانتهائه، ويقظته ونومه، وجلبابه ومعناه وحاضره من ماضيه ومستقبله من حاضره، ووحدة معناه لمعانيه، وعجزه عن متابعة ماضيه إلى ابتداء، وقصوره عن متابعة قادمه إلى انتهاء، اللهم إلا إلى ما هو فيه من حاضره بجلبابه ومعناه لا يعرف لمفرداته دوام بذواتها ولا انقطاع بتعددتها، من أصول إلى فروع خلال حاضرها تحمل فروعها صور ومعاني وحياة أصولها، وتُحمل صورها لامتدادها بتجدداتها في تعددها بتكاثرها على ما هدى بالأديان وبحكمتها من قبلها وبعدها.

إن الذي يقتضيه ما في الإنسان من عقل أن يوجه همه إلى نفسه ودراسة نفسه، ومحاولة كشف ما هو كامن في نفسه من أمور ليست بعيدة عن إدراكه وتقديره وحسه ومتناول عقله، وأن يتعقب بدءا من حاضرها بأمرها، وقابلات تطورها ومظاهرها إلى قادمها، ثم يرتد فيتعقب بما عرف من أمرها أمرها في حاضرها من سابقها. فإذا تلاقى طرفا المستقيم عند الحاضر استكملت عنده دائرة اللانهاية حول مركزها من ذاته وأمره. فإذا أدرك ذلك لنفسه مع مرشده على ما هدى بدأ حقه في دوام التواجد بالتكاثر في جميع المستويات لأنانيتها، وعرف واجبه في الانتشار فيمن دونه من فرعه وأصله

بجنسه في جميع المستويات بمعانيه، وهو ما نسميه الرب والأب أو الآب بصلاحيته للإرشاد، وما يسميه الحق المطلق بالعبد في حال دوام بقائه في الاسترشاد بالأعلى، واقتصر إرشاده على متابعيه في دوام استرشاده.

إن الإنسان في أغلفته من التراب والنار والنور والروح يبحث عن ربه، يبحث عن ربه ويرعاه ويعينه ويرشده، يبحث عن يحسه في نفسه، يبحث عن يتخلقه كادحا فيلاقيه في نفسه بحبه يوما، فإذا هو لا يراه إلا بإدراك وتحقيق وحدانيته معه إنه الأبوة العلوية والروحانية، إنه إنسان الكمال الأول له، إنه إنسان الرفيق الأعلى له، إنه إنسان الله والحق منه، إنه الرسول من أهل طبيعته وأصل أبوته وهو يبحث عن إلهه، فيرتد إليه طرفه بعين مولاه ليريه مراده في قائم معناه إذ أن الإنسان بين لطيفه وكثيفه، وبين كثيفه ولطيفه، كثيفا فأكثف، ولطيفا فألطف، لا تتناهى لطائفه، ولا تعد كثائفه. وهو ما بين كثيفه ولطيفه حقي وخلقي بمعناه بهما تتفاضل في تعددها كثائفه كما تتفاضل في توحيدها لطائفه، يرب بكثيفه لطيفه يوم يكون كثيفه تكاثف لطائفه لأحدية معناه، ويرب بلطيف، كثيفه يوم يكون لطيفه انطلاق كثائفه من أحدية معناه. فالإنسان بين وصف العبد له، ووصف الرب له لكثيفه أو لللطيفه سواء على لطيفه بكثيفه ذاتا ومركزا له، أو على كثيفه بلطيفه محيطا به ومتسعا له. كما يصح ويمكن أن يكون الإنسان قيام متحد يحمل وصف العبد والرب لقائمه، بمعناه إنسانا في وحدانيته وكماله وتمامه، في خلة كثيفه لللطيفه وخلة لطيفه لكثيفه في وحدانية قائمة لهما، مركزها أحدهما للآخر ولا فرق بينهما.

يبحث الإنسان كشيء مخلوق عن كائن هو له خالق وعن الأعلى. وهو لو بدأ من واقعه من الحاضر لوجد فيه ما يطلب الوصول إليه ولأمسك بطرف الجبل، يوم يكشف له الغطاء عن نفسه وولده إلى من يمسه، ممن يجب له ما يجب لنفسه، أو من يجب مؤثرا له على نفسه من الأكبر من إنسان حبه واعتقاده على ما هدي.

إن بذرة التفاح لا تعطي إلا شجرة تفاح، وإن نواة التمر لا تعطي شجرة برتقال. فكل ثمرة من أصل لها من شجرة حملت صفات الأصل في نواتها وتغلقت نواتها بالتافه من أمرها جلابا لها وطعاما للإنسان والحيوان لتستخدمهما في العمل على بقاء نوعها، وذلك من حكمة أصلها وخالقها ومتجليها، ولم تضيفي على أسباب تجددتها من البذور إغراء الاستهلاك، وان أضفتها على أغلفتها من الثمار لتتفتح لها أبواب الهلاك بأفواه القيام الحيواني إلى النار الكبرى به من أجهزة هاضمة لما يحيط به وتحتويه، بها يتشتت الثمار إلى ما يندمج فيه مما احتواه منهما اندماجا في الأعلى وفناء فيه، وإلى ما رده إلى ربه من مصدره من الأرض بما يصدر عنه من فضلات طعامه في دورة حتمية منتظمة لتعاد صياغته على ما كان. وبذلك تتعاون الشجرة مع الإنسان والحيوان على بقاء نوعها وعلى بقاء نوعه لخدمة البقاء لنوعها.

إن كل بذرة بثمرة وإن حملت صفات الشجرة إلا أنها لا تملك لنفسها حتمية الشجرة لها. ولكن لها هذه الفرصة إذا صادفتها من حظها يد الزارع وفرصة المزرعة. فالإنسان إذ يبحث عن الكائن الخالق إنما يبحث عن الأصل الأول لمعناه، والقانون والمنطق والعقل يجيبه إنه عين حاضره بقائه وبمعناه لا يختلف عنه في شيء، ولا يخرج عن القانون الحاكم للشجرة والثمرة، ولظروف الشجرة والثمرة والزارع والمزرعة. وفي هذا يقول الرسول (كلكم لآدم وآدم من تراب)^١، ويقول الكتاب الرباني في تسوية بذرة الشجرة بالشجرة في قانون التواجد الحتمي {كرمنا بني آدم} ^٢ كما يقول {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} ^٣ {إن الله اصطفى آدم}؛ كما اصطفى من المكرمين من أبنائه (نوحا وآل إبراهيم). كما يقول الكتاب في رباط دنيا الحياة وحاضرها بأمس الحياة وسماها وقادما {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع} ^٤. إن الدنيا مزرعة الآخرة.

كائن من تراب هو آدم وكائن من تراب هو عيسى كلاهما من تراب تلقى أحدهما أمرا ليكون، فكان آدم بعمله إنسانا ويكون عيسى يوم يكون بعمله آدمًا وإنسانا كذلك، تمسكه يد الله نفسا مستوفاة كما أمسكت نفس آدم من قبل بالغيب، فكان روحا مرشدا عاملا وأبا ملبيا مُنادىً، وكما أمسكت نفس آدم من بعد بالشهادة بحمد يقوم ويتقلب في الساجدين بما جاء به من قانون التكاثر النوعي، وتمام الكلمة الذاتية لذاته، جعل له الخلد بشرا وروحا. {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء} ^٥. وبذلك كانت بشرية الأرض وجوها لآدم واحد أمسكته يد القدرة بأصله وفرعه فكانت حضرة من حضرات الله في مسجد له من مساجد له، {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا} ^٦. حرمت الإمامة العامة للجنس فيه على غير الله ورسوله فكانت مسجدا حراما على غيرهما، تظهر فيه كلمتهما لقيادة مجتمعاته إلى اليوم المعلوم بظهور الله ورسوله فيه على أهله لأهله بأهله، {وبرزوا لله جميعا} ^٧ هم منه وإليه لا شريك له. وهذا ما يدركه ويقومه الموحدون المؤمنون بالله ورسوله، ويشفقون منه على مستعجله ممن لا يؤمنون به قائما في قيامهم لما في قيامه قبل صلاح الناس له من وطأة الحق ورسوله على المكذبين لهما.

فالإنسان هو الشجرة وهو بذور الثمرة وهو الزارع وهو المزرعة. وكل جديد له يحمل بدء قديمه منه على ما بدأ كما يحمل عين صلاحية قديمه إلى ما إليه صار. شجرة مثمرة وزارع ومزرعة.

الإنسان يُحسن فيكون إحسانا، ويؤمن فيكون إيمانا، ويعرف فيكون كتابا وعرفانا، يترفع عن الكثيف واللطيف لحقي معناه، ويرى في الكثيف واللطيف خلقي معناه سواء كان من التراب وأثيره لذثاره بهما، أو من النار وطاقته بها، أو من النور وضوئه، أو من الروح وإرادته. إنه يرى المكان لوصفه بذاته تتطور، والزمان لقيامه بصفاته تتعدد، والصور لتعبيره في كثيفه ولطيفه عن إرادته وحكمته بقاءم

كثيفه ولطيفه في وحدتهما لقائمه. الدنيا وصف كثيفه يوما للآخرة لها بلطيفه، والدنيا وصف لطيفه يوما للآخرة لها بكثيفه، هو بين لطيفه وكثيفه بين معاني الدائرة ومركزها لوصفه، يوم يكون الدائرة عبدا، لمركزها ربا، سجد لطيفه لكثيفه بالصلاة صلة بين العبد وربّه، ويوم يكون الدائرة ربا، لمركزها عبدا، سجد الكثيف للطيفه، ربا محيطا، متخللا.

إن الإنسان، إذا سما لإدراك معناه كإنسان، في لا نهائي الحياة هي له، لكان في معناه، لمعناه الحي والحياة، بمعناه اللانهائي، فظهر بمعاني القيوم بالحياة بالحي لمعناه لجديد معناه من عمله بمعناه تعريفا بمعناه فكان معنى الله في معناه بمعناه لمعناه، اسما، وذكرًا، لمن عناه نخصه بالحياة، من معناه بلانهائي الحياة، بمعنى سيده ومولاه. والواقع أن العلاقة بين الأحياء بلانهائي الحياة لا تعرف التفرقة لهما ولا التمييز بينهما، فمن قام بالحياة فكان الحياة فهو لانهائي الحياة لا سيد له، ولا مولى له، فهو المسود، القائم بسيده، هو الموجود، القائم بموجده، هو المشهود القائم بشهادته لنفسه لشهوده في أحديته لوجوده، وواحديته لأسمائه وصفاته بموجده حقا لحقائق من حقائق، ووجودا لوجود من وجود لا حصر لعالمه، من مثال موجوده، ومن عين وجوده، لا يستنكف أن يكون عبدا لقائمه أو للانهائيه، وأن يعرف بوصف العبد له، ولا يستنكف أن يكون في خدمة مجتمعه وجنسه وجوها للأعلى من معناه لمعناه. ينفر من سيادته على الناس ذكرا لمن ساده وسوده على حاضره ورضيه سيدا وربا له وشرف بوصف العبد وجها له.

الإنسان الأرضي بهذه البشرية بلطيفه وكثيفه، مادة الحياة، وهو بكثيفه ولطيفه من مادة الحياة، ولكنه لم يرتق بعد بجمعه ليقوم بالنور، أو النار، مادة حياته لكثيفه ولطيفه، في قيام من النور أو النار بين اللطيف والكثيف بهما، ولكن هذا تحقق لأئتمته بمفردات فيه يستطيع الفرد أن يشرق، وأن يفعل، بقيامه من الظلام بمعالم له من مادة الحياة {والليل إذا يسر}، في كثيفها ولطيفها جلبابا وعالما له وهو ما يرجو لنفسه جمعه في قادم على ما عرفه لأصله في قديم وعلى ما يتابعه في قائم.

إن الإنسان يبحث عن الحياة، وهو الحياة قائمة في قيامه، ولا يريد ان يبدأ البحث من قيامه عن قيامه، مصدقا لمن أبلغه على ما أبلغه، وعلى ما علمه، وعلى ما هداه. إن الغيب هو القائم على كل نفس، وهو الحي القيوم على جماع الحياة في حياة كل حي. فأين، وكيف، ومتى يبحث الإنسان عن كنوز الحياة؟ أبعيد عن ذاته؟ أبعيد عن نفسه يبحث عن مخبأ الكنز؟ أبعيد عن نفسه يعمل ليكشف التراب عن جواهر الكنز؟ أريد أن يكشف غيره له عن كنزه؟ وهو إن فعل كيف يعطيه هذا الكنز الذي عرف، والذي كان صاحبه في غمرة الظلام لا يعرف، وما زال لا يعرف لأنه لا يُعرف إلا لمن يكشفه؟ إنه لن يعطيه الكنز الذي كشف يوم يكشفه هو ويجهله صاحبه ولكنه يأخذه لنفسه إن

أنصف نفسه. إن طاغية النفوس يطغى على النفوس، ويستولى عليها لنفسه. إن طاغية النفوس يعجب كيف تؤمن النفوس بغيره ربا، وبغيره عليها سيادا، أليس هو الرب الأعلى! لقد تعلم الحرية فصار حرا ولا تقف أمام حريته عوائق من وجود الآخرين!! إن النفوس تُملكه ذواتها بضعفها فيسودها ويعلوها ببطشه، بها يتأله لنفسه، وعليها يستعلي بوهم عزته، متصفا لنفسه بمعنى الإله وبصفاته، معرفا عنه بنزوات بطشاته قائما لمعناه، مولى لا مولى له، وسيدا لا سيد له، وإلها لا إله له، فيترك الحق له الحبل على الغارب، ويمكنه من النفوس الضعيفة المستخرية في القارب، فيؤسس عليها دولته وحضرتة ومكانته بسطوته. ويسخرها في تسيير سفينته في طريق نزواته وشهواته على غير هدى حتى تهب العاصفة الغاضبة العاتية وتختفي النسائم الرقيقة الرحيمة الموسية. فيضعف أمامها القارب، وأهله وراكبوه وطاقيته، ويعجز ومن معه عن توجيهه وحمايته، فتحمله الرياح في طريق لم ترسم من أهله بسلامة، وتقلبه بهم رأسا على عقب في طريق الندامة، وتهوي به إلى قاع البحر، لا قاع له، فيكون الهلاك لهذا الركب، لهذا الإله، وقومه، وعباده، وأمتة، فيوردهم النار، يوردهم الهلاك، يوردهم الفناء، فانيا معهم، هالكا معهم، فانيا بهم، هالكا بهم، فانون به، هالكون به. فرعون {يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود}...

يقابل هذا القارب وأهله، قارب آخر وأهله، وقائد آخر، وطريق آخر، أمة ركبت مع مخلصها مركب الخلاص، نفوسا مطمئنة دخلت في نفس عبد اطمأنت نفسه، اطمأنت من نواح، واستبشرت بالفلاح، وصلت لرب الإشراف والإصباح، واستظلت بسماء الحياة، واستنارت بشمس الوجود عليه دليلا، وفي نفسها استدلّت بالحياة قامت، وفي نفسها بحثت عن الحياة قائمة، وللحياة عملت لتكون فيها دائمة، فعرفت الدوام لله، وأنها من دوامه ما آمنت، وأنها في سلامه ما سالمته، وأنها في قيامه ما استقامته، فوحدت الله لكثيفها ولطيفها، وقيومها لقاؤها وحاضرها، ومستقبلها وقادما، بين كثيف ولطيف من أمرها، وبين عبد ورب لوصفها، وبين إله في كنزيتها لكآبها وآله في طلعتة لمعانيها، فعرفت بيت الله، فقالت لا إله إلا الله، وعرفت الأ أكبر في عوالم الله للأصغر في كائنات الله، يوم عرفت في صغرها عين الأ أكبر والأ أكبر لوجودها لا فرق بين كبير وصغير في الله، فقالت الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

إن هذا الذي جاء به التبليغ، وقامت بعلم به الحكمة، وقدمته في أمره طريقا وسلوكا المعرفة، صدقه الإنسان وعرفه الإنسان، وأقامه الإنسان، وقامه الإنسان، فكان به إنسانا إلها وربا، ورسولا وعبدا في معارج الإنسان، من الإنسان بالإنسان إلى الإنسان.

إن الإنسان، هو من عرّف عن نفسه بلفظ الله، يوم عرفه في معناه قياما له وذلك يوم طلب الغيب بالشهادة، فعرف في الظاهر مرآة الباطن فعرف الباطن في معرفة الظاهر. وإن الإنسان هو الذي عرّف الإنسان بوصف ربه، يوم عرفه عين أبيه، وعين أصله وعين نفسه ولا بدء له. وإن الإنسان هو الذي عرّف الإنسان بوصف عبده، يوم لقي الإنسان في وصفه بوصف ربه، لا فرق بينه وبينه. والإنسان هو الذي عرف الإنسان بوصف إلهه، يوم عرف إلهه من غيبه في قائمه بمعناه من شهادته، وأنه مرجوه في قادمه من قائمه، فكان الإنسان بذلك العبد، والرب، والإله بمعناه لذاته، وكانت هذه مسميات لمسمى واحد عنده، وأسماء لذات واحدة هي الإنسان يوم يكون الإنسان الخلقى بتمثاله إنسانا حقيقيا بروحه لذاته بصمديه وبمعناه لسرمديه. والإنسان هو الذي سمي بتمثاله ونصبه المادي بالأب وبالرحيم. سماه أبا يوم عرفه جلباب ظهوره من قديمه في قديم، وسماه رجيمًا يوم استعصى عليه في يوم ظهوره العظيم. فيوم ملك التمثال تسمى المثل والملك المكان والزمان فعرف المكان والزمان ومن قبل لم تكن له علاقة بالمكان والزمان، وما كان يعرف ما المكان وما الزمان.

فهل حرص الإنسان في عالم فطرته من أهل هذه الأرض، عالم بدئه في مولد على الفطرة لأسفله ذاتا بشرية وتمثالا به تدب على هذه الأرض، بها يبدأ ظهور الإنسان لشريف معناه، يوم يعرف للإنسان البشري ميراثه الطبيعي من الإنسان يوم يعرف، أنه ليس بتافه، ليس بضئيل، ليس قياما ماديا، أنه ليس بخال من الحقيقة، يوم يعرف أنه ممن ينشق ليُعرف، يوم يعرف أنه بحبه المشبوب بين جوانحه لمن يريد أن يعرف، يكسب الدوام، يكسب الحياة الخالدة، يكسب القيام الأزلي للحياة ويكسب السرمدية للذات الأبدية لمعناه، لطيفا فألطف، وكثيفا فأكثف، وصغيرا فأصغر، وكبيرا فأكبر، زراعا ومزرعة.

الإنسان على هذه الأرض بداية كل شيء ولكنه ليس نهاية شيء. إنه بشيئه أولية الشيء، فإن شاء وأراد أن يكون ليكون كائنا، {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} ١١، لا تمنحي كينوته ولا يفنى ولا ينعدم شيء فعليه أن يقدم على مذبح الكينونة الباقية شيئته الفانية ليكون بمعناه كائنا شاء وعناه، وأن يقدم شيئا راضيا، لمن كان بالله في الله كائنا مرضيا، يا أيها النفس المطمئنة ادخلي في عبادي راضية مرضية، إن فعلت، دخلت جنتي، قطوفها دانية، وزحزحت عن ناري، في قيامك مبرزة عاتية، {وبرزت الجحيم للغاوين} ١٢ {وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد} ١٣.

إن الإنسان ما دخل بما يملك في مالك كل شيء، يوم يدخل في عبده المملوك له والقائم به كل شيء، بدأ الحياة، وبدأ الوجود في الحي الموجود. إن العبد، في وصفه بالإنسان، لا يملك لكائه من أمره مع ربه -- بعين وصفه بالإنسان في معنى الإنسان لمطلقه -- شيئا من الأمر، فسعادة الإنسان -

شيئا- ليكون الإنسان كائنا، أن يدخل في الإنسان عبدا، ليلتحق بالإنسان ربا، فيعرف الإنسان إلهما، فيعرف نفسه له فيه وجها { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام }^{١٤}.

إن الإنسان، وهو شيء، ولا شيء، يستطيع بوعيه وعقله وإرادته أن يكون شيئا وكائنا، وكل شيء وكل كيان، ما أدرك فطلب أنه فيمن هو كل شيء، وأن له أن يبقى بمن هو كل شيء، وعرف طريقه ووسيلته إلى ذلك بأن يفنى عن شيء وعن كل شيء.

فالإنسان، بين دنياه وأخراه لأناه في أطوار خلقه، والإنسان في حاضره، أخرى لدنيا قضاها، ودنيا لآخرة ينتظرها ليلقاها في أطوار حقه، هو بين كثيفه ولطيفه في أنه بين قلبه ورأسه في عالم قيامه بمعناه من رباط ذاته لجوارحه وأعضائه، استوى على عرشها عالما بعقله، وطواها لها في كرسيه بقلبه، يوم كانت دائرة قلبه لطيفة فطوته، أو كان قلبه مركز عقله لذاته فطواها لإرادته، وهو يتقلب بين قلبه وقلبه، بين دائرته ومركزها في تقلبه بين ذاته بكثيفه وصفاته بلطيفه، على وعي من قلبه ورأسه بكثيفهما ولطيفهما، عتيق عقله ووعيه من قيود ذاته، منطلق من ضيقه وقيده.

فالإنسان بين ضيقه وسعته بين كثيفه ولطيفه، إذا أدرك بطليقه بلطيفه قياما به قيد ذاته بكثيفه في إيجاب مخاصم لقائه بلطيفه، أحس بالضيق والقلق، أحس بالألم، أحس بهوان التقييد في حرص عليه، أحس بسجن الذات لأناه، أحس بوطأة الكثافة على اللطافة في معناه. وفي هذا تدريب راق لمعناه فضج وشكا، وأن وبكى، ولم يدرك ما في هذا من رحمة الله، ومن عناية الله، ومن كرم الله، ومن هدي الله، ومن تعريف الله، ومن كشف الغطاء عنه له. إن الإنسان لربه لكنود، يا حسرة على العباد، ما يأتيهم من رسول من أنفسهم إلا كانوا به يستهزئون، ما يأتيهم من قول إلا استمعوه وهم يلعبون، ولحقي دنياهم يجهلون، وبأوهامها ينشغلون، وبالحياء يعبثون، وعن الجد لاهون، وإن قدم لهم الوعي يتجاهلون، وإذا رأوا الحكمة يمتقون، وإن قدمت لهم بأقدامهم لها يركلون. سبحان الله عما يصفون!!

إنهم على النار يصبرون، وغراما بها يقيمون، وعنهم أنفسهم لا يرحزون ولا يتزحزون، تأتيهم سكرة الموت بالحق الذي كانوا عنه يحمدون، فإذا شهدوا الحياة هم منها محرومون وبالحرمان مبعوثون، وكشف لهم ما كانوا لأنفسهم يزعمون فأصبحوا لما جهلوا من أمرهم ناظرين، طلبوا العودة إلى حياة الاختبار نادمين، وما قدروا لأنفسهم بقاءهم في الجاهلين، هم ما زالوا على ما كانوا قائمين، وبأمر الحياة جاهلين، فإذا عادوا، عادوا على ما كانوا لاهين، وقاموا على ما اعتادوا لاهين، بعثوا على ما كانوا ليشهدوا ما كانوا، وما كانوا حتى إذا ما شهدوا، طلبوا الرجوع إلى ما كانوا مما كانوا مرة وأخرى وهم لا يعلمون ولا يتعلمون أنهم إذ يرجعون إلى ما كانوا، قاموا فيما عليه كانوا وطلبوا العودة

إلى ما كانوا في حلقة مفرغة لا قرار لهم لأنهم ما آمنوه بالله معيتهم في دوام، وما عرفوا أن الله لا يُغلب على أمره في السماوات أو في الأرض في قيام، وأن الله معهم حيثما كانوا، وأن الله لهم أينما كانوا في سلام، وأن الله لا يُكسب لكاسب إلا برضاه ولا يكون للعبد إلا بارتضاه يوم يرتضيه العبد مظهرًا لرضاه، ولا يرتضيه إلا يوم يرتضيه بارتضاء عمله به فيرضاه، لا يظن بربه ظن السوء، فيكشف له حكمته فيما أقامه، ليقيمه بحكمته فيما يقومه فيعمل بحكمته فيمن يقيمه ليقومه. فما قام بحكمة الله إلا من رضى بقضاء الله وبحكم الله، وأحسن الظن بالله، فلا تظنوا بالله ظن السوء. فهو يعتب على خلقه يظنون به الظنون، ويتجاوزون إلى ظن السوء، والله عند ظن عباده به، إن خيرا نخير، وإن شرا فشر، فلا تظنوا بالله الظنون ولا تظنوا بالله ظن السوء، وظنوا بالله الخير، يكن الله عند ظنكم به يوم تحسنون الظن به، فإن الله يستحي أن لا يجيب طالبا إلى طلبه، وهو بقدرته لا يعجزه تحقيق طلب الطالبين ما طلبوا. فإذا طلب العبد ما يسيء به إلى نفسه فإن الله مجيبه إلى ما يطلب فياجابته يتعرف على تلبيته كما يتعرف إلى نفسه في قائمها بجهلها، وهذا هدي كريم من الله {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} ١٥. فإذا ما عرف نفسه بجهلها ركن إلى ربه وعلّمه بما يضرها وبما ينفعها ففوض الأمر إليه واستقبل الهدى من كلمته معه، يبحث عنها رسولا من أنفسهم في عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، بهم، تُفتح له فيه منه عيون قلبه وعيون عقله، فيرى ما كان لا يراه ويدرك ما كان لا يدركه. {الرحمن فاسأل به خبيرا} ١٦، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ١٧، {يوم ندعو كل أناس بإمامهم} ١٨. لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من أقت الوجود على ما أردت، وجعلت الشهود على ما قدرت، وهديت وهيات أسباب الرشاد، في حدود مشيئتك وإرادتك، مُحكما لكل أمر، قيوما في كل قيام، معلوما في كل علم، مشهودا في كل شهود، موجودا في كل وجود، قمت بألوهيتك في ظاهرك، وتكنزت في ظاهرك بباطنك، ظاهرا لباطن، وباطنا لظاهر بوحدانيتك، وهيات للإنسان في وجودك، على مطلق وجودك، أن يظهر في ظهورك بظهورك، وأن يقومك بغيبك في غيبك، فهو الذي يعرف أنه لا إله إلا أنت، يوم يعرف أنه لا وجود له مع وجودك، ويوم يعرف أن وجوده في كله من عين وجودك، وأنه في وجودك وجه وجودك، لا يحيط بوجودك، ولا يحيط بشهودك، إلا في مرآة معناه على ما قدرت لأناه ولمعناه، في معاني أنك ومعناك بالمؤمنين والمحسنين، لا إله غيرك ولا معبود سواك. اللهم يا من هو هو، على ما هو، ما شاهده إلا هو، اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا، وادفع عنا من بلاء أنفسنا ما نعلم وما لا نعلم، ومن البلاء من حولنا مما نعلم ومما لا نعلم مما أنت به أعلم. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وخذ بنواصينا إلى الخير وول أمرنا خيارنا، ولا تول

أمورنا شرارنا بكسبنا، وعافنا من إقامة عدلك فينا، وعاملنا بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

(لقد بحث الإنسان طويلا عن الحق الروحي في الصور الخارجية، في الأشكال المادية في الاحتفالات والطقوس والمراسيم التقليدية، في أداء بعض السنن المسماة بالدينية، في حمل بعض الشارات عن الالتحاق بطائفة، وفي عبادة بعض المباني المخصصة، لما تسمى بالأغراض الدينية. ولكن الروح الأعظم يوجد في الداخل فقط وليس في الخارج. أما الترانيم والخدمات الدينية فهذه ما هي إلا قشور. إنها ليست نواة الدين الحق.

أنا لا أعني أنكم تتصوفون جميعا لتعزلوا أنفسكم عن العالم وإنما أعني أنكم تجاهدون لتظهروا ذلك الجزء الأعظم من أنفسكم والذي قلما يجد مخرجاً. وعندما تتقدم أنفسكم العليا روحكم سموها بأي اسم تريدونه، سوف يشتد عزمكم على العمل من أجل الإنسانية.

لا تجعلوا أفكار وهموم العالم المادي تبتلعكم. احتفظوا بنظرتكم الصائبة. وتأكدوا أن في داخلكم روحا خالدة لا تتحد سوف تبعث من بين كل ما يحيط بكم. سوف تساعدكم على قهر كل مصاعبكم، وهي تحتاج إلى إعداد للحياة الكبرى، التي تتطلبها لنفسها في يوم ما، يجب أن تتعلموا كيف تحصلون على القوة من الداخل حتى يمكنكم مواجهة القضايا والمصاعب في كل يوم، بهدوء ومعرفة وأمل وإيمان.

إننا لا نزيد تغذية العقول ولكن تغذية النفوس الجائعة. نزيد تعليمها كيف تعد نفسها لحياة اليوم وحياة الغد الأبدية. أنتم مهاجرون في طريق أبدى. إنكم تتغربون عنها لحظة ولكن سرعان ما ترحلون. أرجو أن يكون في أيديكم ضماد المعرفة مستعدين إذا ما قابلتكم شوكة في الطريق، متجهزين لما ينتظركم بعد المسار أنتم مسافرون، أنتم سائرون طوال الوقت، هذا ليس مقامكم الخالد إنكم لم تصلوا إليه بعد).

من هدي السيد الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد
- ٢ سورة الإسراء - ٧٠
- ٣ سورة آل عمران - ٥٩
- ٤ سورة آل عمران - ٣٣
- ٥ سورة الرعد - ٢٦

سورة إبراهيم - ٢٤	٦
سورة الجن - ١٨	٧
سورة إبراهيم - ٢١	٨
سورة الفجر - ٤	٩
سورة هود - ٩٨	١٠
سورة النحل - ٤٠	١١
سورة الشعراء - ٩١	١٢
سورة ق- ٣١	١٣
سورة الرحمن - ٢٦ ، ٢٧	١٤
سورة الإنسان - ٣	١٥
سورة الفرقان - ٥٩	١٦
سورة يوسف - ١٠٨	١٧
سورة الإسراء - ٧١	١٨